الوطن المسلوب والمصلوب بحراب المحتلين، الموضوع المركزي لجميع نتاجاته الادبية.

يقول فاروق وادي في كتابه "ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية"، خلال السنوات الممتدة من ١٩٤٨ - ١٩٦٧م، لم تكرس المحاولات الروائية الفلسطينية سوى اسم واحد، هو غسان كنفاني، الذي قدم عمليين متميزين - رجال في الشمس - ثم - ما تبقى لكم - عام ١٩٦٦م، اما عدا هاتين الروايتين، فان الاسماء والاعمال الاخرى لم تعد تحظى الا باهتمام الدراسية الاكاديمية"(١٣)

ورغم ان كنفاني كان يحترف الصحافة ويمارسها كعمل يومي، لم تتأثر نتاجاته الادبية باي حال من الاحوال بالاسلوب الصحفي الذي يتميز بالمباشرة والتعابير السياسية ذات الايقاع الخاص، لانه كان قادرا على ممارسة هذين اللونين بطريقتين مختلفتين، وان كانتا تخدمان نفس الهدف، نفس القضية، لكن الصحفي هو غير الاديب، والصحافة هي غير الادب، وهذا الموضوع لم يحسن التعامل معه، بعض الصحفيين الذين جربوا حظهم في الادب، فوقعوا في ازدواجية قاتلة، بحيث طغت لغة الصحافة واسلوبها على نتاجاتهم الادبية التي لبست الثوب المقالي الجاف.

وفي مجال الحديث عن الصحافة والادب، يجدر بنا الاشارة، الى ان مهنة الصحافة تفتح امام الاديب المتمكن آفاقا رحبة عن الحياة والناس، فهي توفر لممتهنها امكانيات خصبة للتعايش مع مشاكل الناس والاندماج في قضاياهم، فالانسان اذا مارس مهنة الصحافة والادب على حد سواء، وامتلك زمام كل من الجانبين بمهارة وفن، ولم يخلط بينهما، بمعنى ان لا يسمح للغة الصحافة من احتواء نتاجه الادبي، وبالمقابل لا يقولب مقالته السياسية بقالب ادبي بحت، يكبلها، ويمنعها من الانطلاق والانعتاق والايفاء بالمطلوب.

فاذا توفر في الكاتب المبدع احساس الاديب ورفاهيته وذوقه، الى جانب "ديناميكية" وحيوية وخبرة الصحفي، واتقن تجنيد هذه المجالات في خدمة بعضها البعض، عن طريق الخبرات والمعلومات والترابط، وليس بواسطة الباس هذا النمط ثوب الآخر، يستطيع هذا الكاتب ان يقوم اعمالا ناجحة.

وغسان استفاد من جميع مهاراته ومعارفه ووضعها في خدمة الادب، لكن دون ان يخلط، ودون ان يكون ذلك على حساب الشكل الفني، فالادب فنيا هو الادب وليس اي شيء اخر، ولكي يكون الادب، من الضروري ان يستند الى خبرة ومعرفة واحساس مرهف، وقدرة فائقة على الملاحظة والاستنباط، ويحتاج ايضا الى لغة قوية وحدث وترابط منطقي وقصصي، وباختصار لقد صب